



الدكتور محمد إقبال

وعلى هذا أريد أن أعرف إخواني الناطقين بالضاد بتلك «الغنائم الشجية» وأن أكون على الأقل ترجماناً لها إن لم أكن راوية، فأقدم اليوم اليهم على صفحات (الرسالة) ترجمة حياة الدكتور بالابحاز، وسأتبع ذلك بمحدث عن شعره وفلسفته وآرائه في نواحي الحياة المختلفة إذا وفقني الله لذلك

المصدر الدكتور السر محمد إقبال من سلالة وثنية عربية في المجد والشرف من طبقة «بنديت» القاطنة ببلاد كشمير في شمال الهند. و«بنديت» لقب يلقب به أهل العلم والفضل من طبقة البراهمة التي هي أرفع الطبقات وأعلاها شرفاً وعلماً وتفوقاً في النظام الاجتماعي الوثني في الهند، وقد أشار الدكتور إلى ذلك إذ قال:

صرا بنكره درهند وستان ديگر نهي
برهن زاده رمز آشنای روم وتبریز است
«انظر إلى قانك لا تجد في الهند مثلي من
سلالة برهن ولكنه يعرف رموز روم وتبريز»^(١)

تشرفت طائفة الدكتور باعتناق الاسلام قبل مائتين وخمس وعشرين سنة. وذلك أن أحد أجداده اتصل بولي من أولياء الله من الصوفية المسلمين فأشرب قلبه حب الاسلام فأسلم. وكان من (١) إشارة إلى رموز تصوف مولانا جلال الدين الرومي الصوفي السلمي الشهير ولي رموز شعره تبرز مثل حافظ وسعدى

الدكتور محمد إقبال

أكبر شعراء الرنذ المسلمين في العصر الحاضر

«ان صوتي قد أوقد النار التمدية»^(١) في بلاد إيران
ولكن العرب لا يعرفون شيئاً عن غنائم الشجية
(إقبال)

بقلم السيد أبو النصر أحمد الحسيني الهندي

شدا صديقنا الغضال الشاعر الفيلسوف الدكتور السر محمد إقبال بهذا البيت في ديوانه «بيام مشرق» (أي رسالة الشرق) منذ ثلاث عشرة سنة، ولكنه لم يسمع صدى المعرفة الحقيقية «لغنائم الشجية» من العرب إلى اليوم. وثلاث عشرة سنة مدة طويلة. لأن الشيء إذا سر عليه زمن قليل يقال إنه مضى ودخل في ذمة التاريخ، وليس كل ما دخل حصن الماضي فال رعاية التاريخ. لأن غالب التاريخ الحديدية لا تقتطف إلا ما هو مؤثر مباشرة في الحوادث المادية ولا تهتم بوجود الكائن الحي بنفسه أياً كان، ولكن هناك أشياء خارجة عن وصول غالب التاريخ ومؤثرات الزمن مع كونها مؤثرة في الحوادث المادية. وتلك الأشياء هي الحقائق للهمة، ومنها الشعر أو «الغنائم الشجية» كما عبر الدكتور. فالحقيقة للهمة شيء خالد بعيد الرام عن تلاعب الزمن، وعزيز النال من غلب التاريخ، تظلم الحياة الانسانية إلى مناسمته في كل زمان، وتتطلع إلى مؤانسته في كل مكان (١) إشارة إلى أن التاركانت تبد في بلاد إيران قبل الاسلام

وإن كانوا لا يجاهرون بالعلم به. كل ما كنا نخطئه أن نستفيد هو صورة الحياة، كما عرفها وعانها، فاسق عظيم وليت دعبلأترك لنا مذكرات! فانه متمرد ظريف، وليس أحب إلى المرء من الوقوف على مظاهر التمرد، ولكن التمرد صميمه في حياته، وصنيع شعره معه - أو أكثره - فلو أنه كتب مذكرات لما أعوز خصومه الحطب

لو ذهبت أذكر ما كنت أتمنى أن أجد فيه كتاباً، لما فرغت، فلأهنا آخر، لحسي ما بينت، وليكن كإشارة القمرس ابراهيم عبد القادر المازني

آثار تلك الحادثة أن حسن الاعتقاد في الصوفية المخلصين لا يزال من الأوصاف المميزة لعائلة الدكتور إلى اليوم

ولد الدكتور محمد إقبال في سنة ١٨٧٦ ميلادية في بلدة سيالكوت مسقط رأس فيلسوف الاسلام العلامة الشهير عبد الحكيم السالكوتي من إقليم پنجاب في شمال الهند . فلما بلغ سن التعليم أدخله أبوه في مكتب من المكاتب الاسلامية في تلك البلدة ، ومن وهبه الله الذكاء المتوقد والحنق الحاد ظهرت بوادره منذ نعومة أظفاره . كذلك الدكتور إقبال فإنه لم تعض

عليه مدة قليلة حتى أتم دراسة المكتب فأدخله أبوه في المدرسة ، وفي المدرسة أيضاً بقى مثلاً لحدة الذهن وموضع الإعجاب من جميع أساتذته . فإنه لم ينتقل من فصل إلى فصل ولم ينل شهادة بعد شهادة إلا يتفوق على أقرانه ويستحقاق مساعدة مالية شهرية من قبل الحكومة جائزة لنبوغه إلى أن أتم دراسته الثانوية ، وبعد

إتمام الدراسة الثانوية دخل الدكتور كلية في نفس البلدة ، وكان في تلك الكلية أحد كبار علماء الدين أستاذاً للغة الفارسية والعربية وهو شمس العلماء مولانا مير حسن^(١) الذي كان يشار إليه بالنيان في الأدب الفارسي والعربي فتلمذ له الدكتور ونبغ في

الفارسية كما تعلم منه العربية أيضاً . وبعد إتمام دراسة الكلية انتقل الدكتور إلى كلية الحكومة ببلدة لاهور حاضرة إقليم پنجاب ونال منها شهادة B. A. بتفوق حيث استحق مدينتين ذهبيتين والمساعدة المالية الشهرية من قبل الحكومة . وفي هذه

الأثناء انتقلت خدمات المستشرق الشهير السر توماس آرنلد من كلية عليكره إلى كلية لاهور . وكان السر آرنلد هذا مشهوراً بسعة اطلاعه في علوم الفلسفة ، وكان عند الدكتور إقبال أيضاً ميل غريزي إلى الفلسفة حيث لم يترك دراستها في نيل جميع شهاداته الماضية فتلمذ للسر آرنلد . فكان السر آرنلد يعترف دائماً بذكاء تلميذه المتوقد واستعداده للفلسفة ويفتخر به إلى أن أتم الدكتور دراسة الجامعة ونال شهادة M. A. مع منالية ذهبية

عين الدكتور بعد إتمام دراسته مباشرة أستاذاً للفلسفة والسياسة الدنية في الكلية الشرقية بلاهور ثم أستاذاً للفلسفة واللغة الانجليزية في كلية الحكومة بلاهور . فصنف في أيام تدرسه كتاباً في السياسة الدنية باللغة الأردية . وكان الدكتور طول مدة التدريس في السكيتين حسن الصيت في العلم والفضل

(١) توفى رحمه الله تعالى في سنة ١٩٢٩ ميلادية

عند أساتذتهما ، وممدوح الخلال مأثور المحامد عند تلاميذه

لم يسمح للدكتور عشقه للعلوم وطموحه إلى التوسع فيها بأن يقنع بتلك الوظيفة ؛ فهجرت في سنة ١٩٠٥ وطنه وأقاربه ثلاث سنوات طلباً للتوسع والمزيد في الفلسفة والقانون والتحقيقات العلمية الأخرى إلى إنجلترا والتحق بجامعة كمبريدج ونال منها شهادة في فلسفة الأخلاق ، ثم انتقل إلى ألمانيا والتحق بجامعة مونيخ فيها ونال منها شهادة الدكتوراه في الفلسفة ، ثم رجع إلى إنكلترا والتحق بجامعة لندن ونال منها شهادة المحاماة (Bar - at - Law)

إن كثيراً من طلاب الشرق حينما يذهبون إلى الغرب يجدون أنفسهم في عالم جديد لم يخطر ببالهم ولا هجس في ضواهرهم ، إذ الفوضى الأخلاقية قد استحكت عراها ، والأباحية قد شيدت وطائد رباها ، وأبواب المفاصد مفتوحة ، ودواهي الخلاء مسروحة . فيندفعون في تياره وبضيمون فيه أوقات فراغهم حتى أوقات أشغالهم ، ولكن الدكتور لم يضيع أوقاته ، بل كان يستغل حتى وقت فراغه فقد سعى فيه لخدمة الاسلام بتبليغه إلى العوام ، إذ أتى في غضون قيامه في إنجلترا ست محاضرات في الاسلام بين حشد الخالص والعام . وقد منح الله الدكتور العبقرية الشاملة وأسبغ عليه جميع ضرايا النبوغ ، فهو تاليف بلوغ كما هو ناظم مطبوع ، وكاتب بارع كما هو خطيب مصقع فكان لمحاضراته رنة بين الناس ووقع حسن في أوساط العلم والأدب

وإذا كان غاية ما يبتغيه الأستاذ من تلميذه ويتمنى له ، لمكوفه على تعليمه ومكابدته في تهذيب نفسه وتنوير عقله ، أن يبلغ منزلة في العلم والأدب ، وأن يقوم بمهمته أتم قيام ، وأن ينوب عنه أحسن مناب لا يشوبه خلل ، ولا يمتريه أود ولا يخالطه وهن ولا أمت . فقد بلغ فيه صديقنا الدكتور إقبال حيث لم تبلغ الآمال والهمم ، إذ الدكتور بذكائه المتوقد ، وفكره الحاد ، وحصافة رأيه ، وطول باعه في العلوم والصناعات قال أجل مكان وأخص محل في أنظار جميع أساتذته فكانوا يتباهون به في السر والعلن ، ويذكرونه فخراً في مسامرات الأدب وأندية العلم . وهذا هو الذي حفز أستاذه السر توماس آرنلد أن يفوض إليه القيام بأعمال وتليفته بجامعة كمبريدج لسنة أشهر عند غيابه عنها فخلفه الدكتور أستاذاً بالجامعة ، وقام بالمهمة خير قيام تناقلته السنة المديح وناطه الذكر الجميل

رجع الدكتور من أوروبا إلى الهند في سنة ١٩٠٨ مزوداً

الأراضي من ملكية الحكومة أو ملكية الشعب ؟ وفي سنة ١٩٣٢ عند انتقاد ميزانية الحكومة أثبت بالدلائل الناطقة والشواهد الصادقة أن الأراضي استحوذت ملكية الحكومة فلا يجوز للحكومة جمع المال بالضرائب الفادحة على أراضي الفلاح وفي سنة ١٩٣١ انتخبته الحكومة عضواً في مجلس المائدة المستديرة المنقد في لندن لاصلاح الهند الدستوري فهاجر إلى لندن وعند الرجوع لبي دعوة المؤتمر الاسلامي بالقدس وزار مصر أيضاً وأتى على طلبه منه محاضرة قيمة فلسفية دقيقة في جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة موضوعها « الاسلام كالتحول في التاريخ » باللغة الانجليزية ، ولكن من الأسف لم يقدر أحد من السامعين ولا من أركان إدارة الجمعية أن ينقل تلك المحاضرة القيمة المفيدة إلى العربية للحاضرين أو يكتبها على الأقل وينشرها على صفحات الجرائد للافادة

وفي أواخر سنة ١٩٢٨ دعي الدكتور من قبل جمعية اسلامية ببلدة مدراس حاضرة إقليم جنوب الهند لالقاء محاضرة في الاسلام ، فلبى الدعوة ، فلما وصل إلى مدراس احتفل به أهالي مدراس من جميع الأجناس والملل احتفالاً باهراً ، وأقيمت في تكريمه مآدب كثيرة من قبل جمعيات مختلفة منها جمعية العلماء البراهمة وغيرها من جمعيات الوثنيين ؛ ومن مدراس توجه الدكتور إلى حيدر آباد تلبية لدعوة صاحب السمو نظام حيدرآباد فر بأمانة ميسور ، وهي أمانة وثنية كبيرة في جنوب إمارة حيدرآباد ، فلما وصل بنجلور بلدة من بلادها استقبله حشد كبير من الطلبة والعلماء والوجهاء ، وكان بينهم رئيس الوزراء لأمانة ميسور أمين الملك ميرزا اسماعيل (وهو مسلم) فسافر معهم إلى بلدة ميسور حاضرة إمارة ميسور ، ونزل ضيفاً على الأمير الوثني مهاراجا ميسور ، وأقيمت في تكريمه مآدب كثيرة أهمها مأدبة جامعة ميسور التي خطب فيها الدكتور ، وفي هذه المأدبة خطب عالم وثني كبير وهو أستاذ الفلسفة بالجامعة فقال : « إن المسلمين مهما قالوا إن الدكتور اقبال منهم ، فإن الحقيقة أنه مناجيماً ، هو ليس من ملك دين واحد أو جماعة واحدة ، فإن افتخر للمسلمون بأنه من أبناء دينهم ، قلنا نحن الوثنيين بأقل نفراً منهم بأنه من أبناء وطننا الهند . ومن ميسور توجه الدكتور إلى حيدرآباد ، فاستقبله جمع غفير من جميع الأجناس والملل ، بينهم أركان الحكومة وأساقفة الجامعة وطلبتها وغيرهم من ذوي

بالعلوم والصناعات ومتأهباً لخدمة وطنه وأبناء دينه ، فاستقبله حشد كبير من جميع الأجناس والطبقات والأديان والملل . وأقيمت في تكريمه مأدبة فاخرة ليلة وصوله إلى لاهور هناك فيها أعيان البلد ورؤساء القوم بسلامة وصوله إلى وطنه ، كما اعترف غير واحد من الشعراء والأدباء والعلماء والفضلاء بالتصامد والخطب فيها بمله وفضله . ومن ذلك الحين اختار الدكتور لنفسه الحياة الحرة ولم يقبل مناصب الحكومة لكي يجتهد مجالاً واسماً لبحوثه العلمية ، وميداناً أوسع لخدمة إخوانه ودينه . فبدأ يمارس مهنة الارشاد القانوني للطلاب

والدكتور بنفسه رجل فنوع ، زيه ، عزيز النفس ؛ يقنع بالكفاف ويرضى باليسور ، كما عبر عن ذلك في بيت من ديوانه :
« رسالة الشرق » قال :

ناز شهبان نمی کشم زخم کرم نمی خورم
دردنگرای هوس فریب همت این گدای را
« أنا لا أحمل دلال الملوك ، ولا جرح الاحسان
يا من انحذت بالطمع ! انظر إلى حمة هذا الفقير »

فقد رفض غير واحد من مناصب الحكومة التي قدمت إليه وآخرها منصب ممثل الحكومة الهندية لدى حكومة جنوب أفريقيا وهو منصب ذو مرتب باهظ وشرف عظيم اشتغل الدكتور بعد رجوعه من أوروبا في تصنيف ديوانين « أسرار خودي » و « رموز بيخودي » على الترتيب باللغة الفارسية . فنال إعجاب الجميع من ذوى الفضل والعلم ، وترجم الأول الدكتور نكلسن إلى الإنجليزية فذاع به صيت الدكتور في أوروبا وأمريكا ففتحت الحكومة في سنة ١٩٢٣ لقب « السرك » اعترافاً بفضله في الشعر وطول باعه في العلوم

وفي سنة ١٩٢٦ أعيده أحبابه وأصدقائه وأهالي لاهور على أن يرشح نفسه لعضوية المجلس التشريعي في إقليم پنجاب . فلم يقبل أولاً . فلما ألحوا عليه كثيراً قبله . فانتخب عضواً بأكثرية ساحقة . فمضى الدكتور سعيًا حثيثاً لتخفيف الضرائب الفادحة عن كاهل الفلاح الهندي ، ولسن قانون المقاب لكل من يطعن في شارع الدين أو أحد رؤسائه من غير دينه هو ، وقد سنّ فعلاً ، ولتقرير غاية الاصلاح لادمان الخمر عند الحكومة حرمتها التامة تنفذ في مدة خمس عشرة سنة . وفي سنة ١٩٢٨ أثار الدكتور في المجلس بحثاً ظريفاً استوقف الأنظار ، وهو هل

من برائع شكير^(١)

حلم منتصف ليلة صيف

A Midsummer Night's Dream

بقلم محمد رشاد رشدي

يحملنا جو القصة أجيالاً عديدة إلى الوراثة حيث (نيزوس) دوق أثينا يمد قصره للاحتفال بقرانه بملكة الأمازون الساحرة. أما أسلوب القصة فهو مليء بالصور الخلابية التي تشبع في الذهن جواً يشبه جو الحلم النريب. كذلك تنشر أشخاص الجن التي ما تزال تظهر ثم تختفي في القصة روحاً غريبة نائية حائلة... والحب - سيد خالق الأحلام والخيالات - هو موضوع القصة... بيد أنه ليس بالحب المداعب الإلهي يحمله السطور في خفية ورشاقة مقبلاً حيناً مدبراً حيناً آخر. بل هو حب قوى قاهر يهر النظر والسمع ويأبى إلا أن تعبر عنه الاستمارة والمجاز واللغة الشعرية الحارة. تبعثه من الصدر مثلما تبعث ليلة مقمرة هادئة من ليالي الصيف شعر شاعر من صدره، أو زفرة عاشق من حنايا ضلوعه

(ليساندر) و (هرميا) يتفقان على اللقاء:

ليساندر: في مساء الندم عند ما تبصر (نبي) طلعتها في البحيرة نائرة على العشب الأخضر لباساً من اللؤلؤ السيال - في ذلك الوقت قد اتفقنا على أن نجتاز أبواب أثينا ونغشى هاربين

هرميا: وفي نفس الغاية حيث اعتدنا اللقاء، وحيث كنا أحياناً نرقد على العشب اللين الرخص ونشم أنفاس الزهر الوحشي. هناك يلتق أحدهنا الآخر، أي ليساندر!

ويضل كل من العاشقين سبيله ويهكهما البحث والفكر فيرقد كل تحت شجرة من أشجار القاب وينلب علمهما النعاس فما يدريان من أمرهما شيئاً، ويأتي (بوك) رسول ملك الجان فيهبصر في عيون الفتى زهرة من أزهار القاب سحرية تغير قلبه

(١) استمرت هذا العنوان من رسائل أستاذي الجليل محمد فريد أبو حديد التي كان ينشرها تحت نفس اسمي أن يسمح الأستاذ لي بالاستمارة وعسى أن أوفق في إعطاء الاسم بعض ما وقاه هو من الحق

الجاه والشرف، وكان طلبة المدارس مصطفىين في الشوارع والمحطة ويغنون بأصواتهم الشجية « نشيد السلم » الذي صنعه الدكتور باللغة الأردنية وأوله:

جين وعرب همارا ، هندوستان همارا
مسلم هين هم وطن ، هي ساراجهان همارا
« إن الصين والعرب لنا ، (كما) أن الهند لنا
اننا الملوك ، فالعالم كله وطننا »

نزل الدكتور ضيفاً على سمو نظام حيدر آباد وحظي بالثول في حضرة سموه ، وألقى محاضرات عديدة بالجامعة الثمانية بحيدر آباد ، ثم توجه من حيدر آباد إلى الجامعة الإسلامية بعلي قره تلبية لدعوتها ، فألقى فيها أيضاً غير محاضرة ؛ وجميع هذه المحاضرات التي ألقاها في مدراس ، وحيدر آباد ، وعلي قره ، ست تحتوي على أعمق الأفكار وأدق المعاني ، في فاشفة دين الإسلام ، وقد سمي الدكتور فيها لتشكيل علم الكلام الجديد على ضوء الفلسفة الحديثة ، وقد نشرت في شكل كتاب ونحن مستعدون أن نتحف قراء الرسالة بشيء منها لو تحملوا جفاف الفلسفة في جنب حلاوة الأدب

وفي سنة ١٩٣٣ دعا الدكتور المفور له جلالة الملك نادر شاه خان ملك أفغانستان مع عالين كبيرين هنديين وهما الاقوكاتو السيد راس مسعود رئيس الجامعة الإسلامية بعلي قره ، وصديق صاحب الفضيلة الشيخ السيد سليمان الندوي من كبار علماء الدين للاستشارة في تأسيس جامعة بكابل ، وفي أمور تعليمية أخرى . فلي الدكتور الدعوة ، وفي هذا السفر صنف الدكتور ديوانه المسمى « مسافر » باللغة الفارسية

وفي سنة ١٩٣٤ سافر الدكتور لزيارة البلاد الإسلامية في المغرب ولشاهدة الآثار الإسلامية في الأندلس وصنف في هذا السفر ديواناً باللغة الأردنية مسمى « بال جبريل » وفي أواخر نفس السنة دعي الدكتور إلى إنجلترا لآلقاء محاضرات في فلسفة الدين في سلسلة محاضرات هيبيرت Hibbert Lectures فلي الدعوة هذه هي ترجمة حياة الدكتور بالاختصار وموعدنا بالحديث

عن شعره المقال الآتي إن شاء الله ما

السيد أبو النصر أحمد الحسيني الرضوي